من الشعر الجاهلي

معلقة زهير بن أبي سلمى

- 1- المعلقات

معناها، سبب تسميتها، عددها، أصحابها

سميت تلك القصائد بالمعلقات؛ لأن بعض مؤرخي الأدب العربي اعتقدوا أن هذه القصائد علقت على أستار الكعبة بعد أن كتبت بماء الذهب على القُباطي. والمعلقات خير ما أثر من الشعر الجاهلي؛ لأنها تصور حياة القوم في بداوتهم أدق تصوير.

وقد اختلف العرب في عددها، وفي أسماء أصحابها، وفي أسمائها، وفي سبب تسميتها بالمعلقات، الأمر الذي دعا بعض المتأخرين إلى إنكارها، إنكاراً تاماً، ولكن دون دليل علمي.

ومن أسماء المعلقات:

1- السبع الطوال، لأنهم عدوها سبعا، ولأنها كثيرة عدد الأبيات.

2- السموط، جمع سمط، وقد سميت بهذا الاسم، لأنهم شبهوها بالقلائد الثمينة.

3- السبعيات، لأنهم جعلوا عددها سبعاً، ولم يأخذوا بقول من عدها تسعاً أو عشراً.

4- المذهبات، لأنهم ادعوا أنها كتبت بماء الذهب، وعلقت على أستار الكعبة. ولكن هذا القول ضعيف؛ لأن المذهبات سبع قصائد غير المعلقات.

-2- أصحابها:

1- امرؤ القيس بن حجر 502م - 546م، ومطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

2- طرفة بن العبد البكري 529م - 555م، ومطلعها:

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

3- الحارث بن حلزة اليشكري 475م - 578م، ومطلعها:

آذنتنا ببـــينهـــا أســـمـــاء رب ثـاو يمـل مـنـه الـثـــــواء

5- عمرو بن كلثوم 512م - 610م، ومطلعها:

ألا هبي بصـحنك فـاصـبـحـينا ولا تبـــقي خـــمـــور الأندرينا

6- زهير بن أبي سلمى 510م - 618م، ومطلعها:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحـــومـــانة الدراج فـــالمتـــثلم

7- لبيد بن ربيعة العامري 517م - 662م، ومطلعها،

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غـولهـا فـرجـامـهـا

أما من عدها عشراً فقد أضاف الشعراء الثلاثة التالية أسماؤهم:

8- النابغة الذبياني توفي سنة 604م، ومطلعها:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقـوت وطـال عليـهـا سـالف الأمـد

9- أعشى قيس توفي 629م، ومطلعها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعـــا أيهـــا الـرجل

10- عبيد بن الأبرص توفي 605م، ومطلعها:

11- **أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب**

12- عنتره:

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عـــرفت الدار بعـــد توّهم

زهير بن أبي سلمى المزني

هو زهير بن أبي سلمى، وينتمي إلى مُزينة، وهي أم عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر.

نشأ زهير عند أخواله في قبيلة غطفان، ولزم خاله بشامة بن الغدير حيث أخذ عنه العلم والشعر والحكمة. وشهد حروب داحس والغبراء التي نشبت بين عبس وذبيان، وشاركت فيها عشيرة أخواله واكتوت بنارها.

كان زهير ينقح شعره، ويطيل النظر فيه قبل أن يظهره للناس، ولذلك سميت قصائده الحوليات.

لم يدرك زهير الإسلام، إذ توفي قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم). وأدركه ابناه كعب ويُجير، وابنه كعب هو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

قال زهير معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف؛ لأنهما احتملا ديات القتلى من عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء التي بلغت ثلاثة آلاف بعير.

وزهير في معلقته يشيد بهذه المكرمة الجليلة التي بادر إليها هذان السيدان سعياً لإحلال الصلح والسلام بين قبيلتين من قبائل العرب، خلافاً لما جرت عليه عادة الشعراء من حض على الأخذ بالثأر وتأجيج نار الحرب.

معلقة زهير

1- **أَمِنْ أُمّ أوفى دمنةٌ لم تكلَّمِ بحومانة الدراج فالمتثلمِ**

2- **ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيعُ وشم في نواشر معصم**

3- **بها العين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم**

الدراسة الأدبية:

(1) **الدمنة:** ما اسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرها. والجمع الدمن. والدمنة الحقد وهي في البيت بمعنى الأول.

حومانة الدراج والمتثلم: موضعان. وقوله: أمن أم أوفى: بمعنى أمن منازل أم أوفى الزوجة دمنة لا تجيب؟ وقوله: لم تكلم. جزم بلم ثم حرك الميم بالكسر، لأن الساكن إذا حرك كان الاحرى تحريكه بالكسر، ولم يكن بدّهنا من تحريكه ليستقيم الوزن، ويثبت السجع، ثم أُشبعت الكسرة بالإطلاق، لأن القصيدة مطلقة القوافي.

يقول: أمن منازل الحبيبة أو الزوجة المكناة بأم أوفى دمنة لا تجيب سؤالها بهذين الموضعين. أخرج الشاعر الكلام في موضع الشك ليدلل بذلك على أنه لبعد عهده بالدمنة، وفرط تغيرها لم يعرفها معرفة قطع وتحقيق.

2- **الرقمتان:** حرتان، إحداهما قريبة من البصرة والأخرى قريبة من المدينة.

المراجيع: جمع المرجوع: رجعه رجعاً، أراد الوشم المجدد والمردد.

نواشر المعصم: عروقه، الواحد ناشر، وقيل ناشرة.

والمعصم موضع السوار من اليد، والجمع المعاصم.

يقول: أمن منازلها دار بالرقمتين ؟ يريد أنها تحل الموضعين عند الانتجاع، ولم يرد أنها تسكنها جميعاً، لأن بينهما مسافة بعيدة، ثم شبه رسوم دارها بوشم في المعصم قد رمم وجُدَّد بعد انمحائه. شبه رسوم الدار عند تجديد السيول إياها بكشف التراب عنها بتجديد الوشم. وتلخيص المعنى: أنه أخرج الكلام في معرض الشك في هذه الدار، أهي لها أم لا، ثم شبه رسومها بالوشم المجدد في المعصم وقوله، ودار لها بالرقمتين ، يريد: وداران لها بهما: فاجتزأ بالواحد عن التثنية لزوال اللبس، إذ لا ريب في أن الدار الواحدة لا تكون قريبة من البصرة والمدينة، وقوله كأنها أراد رسومها وأطلالها، فحذف المضاف.

3- **قوله:** بها العين، أي البقر العين، فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه، والعين: الواسعات العيون.

الآرام: جمع رئم وهو الظبي الأبيض، خالص البياض، وقوله: خلفةً أي يخلف بعضها بعضاً إذا مضى قطيع منها جاء قطيع آخر. ومنه قوله تعالى:

" وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً " يريد أن كلاً منهما يخلف صاحبه، فإذا ذهب النهار جاء الليل، وإذا ذهب الليل جاء النهار.

الأطلاء: جمع الطلا، وهو ولد الظبية والبقرة الوحشية، ويستعار لولد الإنسان، ويكون هذا الاسم للولد من حين ولد الى شهر أو أكثر منه.

الجثوم للناس والطير والوحوش بمنزلة البروك للبعير، والفعل جثم يجثم، والمجثم: موضع الجثوم، والمجثم الجثوم، فمفعل من باب فعل يفعل إذا كان مفتوح العين كان مصدرا، وإذا كان مكسور العين كان موضعا.

يقول: بهذه الدار بقر وحش واسعات العيون، وظباء يمشين بها خالفات بعضها بعضا، وتنهض أولادها من مرابعها لترضعها أمهاتها.

4- **وقفتُ بها من بعد عشرين حجةً فـــلأياً عـــرفتُ الدار بعـــد توهـم**

5- **أثافيَّ سفعاً في مُعرَّسِ مرجلٍ ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم**

6- **فلما عرفت الدار قلت لربعها الا انعم صباحاً أيها الربع واسلم**

7- **تبّصرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ تحمَّلْن بالعلياء من فوق جُرْثم**

4- **الحجة:** السنة، والجمع الحجج. اللأي: الجهد والمشقة.

يقول: وقفت بدار أم أوفى بعد مضي عشرين سنة، وعرفت دارها بعد التوهم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة يريد أنه لم يعرفها إلا بعد جهد ومشقة لبعد العهد بها ودروس أعلامها.

5- **الأثافية:** جمعها الأثافي بتثقيل الياء وتخفيفها، وهي حجارة توضع القدر عليها .

والسفع: السود، والأسفع الأسود، والمعرّس : أصله المنزل، من التعريس، وهو النزول في وقت السحر. ثم استعير للمكان الذي تنصب فيه القدر، والمرجل: القدر.

والنؤي: نهر يحفر حول البيت ليجري فيه الماء الذي ينصب من البيت عند المطر، ولا يدخل البيت والجمع الآناء، والنؤي والجذم: الأصل. ويروى كحوض الجد، والجد: البئر القريبة من الكلأ. وقيل: بل هي البئر القديمة.

يقول: عرفت حجارة سوداء تنصب عليها القدر، وعرفت نُهيراً كان حول بيت أم أوفى بقي غير متثلم، كأنه أصل حوض. نصب أثافي، على البدل من الدار في قوله " عرفت الدار " يريد أن هذه الأشياء دلته على أنها دار أم أوفى.

6- **كانت العرب تقول في تحيتها:** أنعم صباحا، أي نعمت صباحا، أي طاب عيشك في صباحك، من النعمة، وهي طيب العيش، وخص الصباح بهذا الدعاء، لأن الغارات تقع صباحا.

يقول: وقفت بدار أم أوفى فقلت لدارها مجيباً إياها وداعياً لها: طاب عيشك في صباحك، وسلمت.

7- **بالعلياء:** أي بالأرض العلياء أي المرتفعة. جرثم: ماء بعينه.

يقول: فقلت لخليلي: انظر يا خليلي هل بالأرض العالية من فوق هذا الماء نساء في هوادج على إبل؟

يريد أن الوجد برح به والصبابة ألحت عليه حتى ظن المحال لفرط ولهه، لأن كونهن بحيث يراهن خليله بعد مضي عشرين سنة محال.

التبصر: النظر. التحمل: الترحل .

8- **جعلن القنان عن يمين وحزنه وكم بالقنان من مُحلَ ومُحرمِ**

9- **علون بأنماطٍ عتاق وكِلةٍ ورادٍ حواشيها مشاكهةَ الدم**

10- **وورّكْنَ في السوبان يعلون متنه عليهن دل الناعم المتنعم**

11- **بكرن بُكوراَ واستحرن بسُحرةٍ فهنّ ووادي الرس كاليد للفم**

8- **القنان:** جبل لبني أسد. عن يمين، يريد الظعائن.

الحزن: ما غلظ من الأرض وكان مرتفعا. من محلّ ومحرم: يقال حل الرجل من إحرامه وأحل، وقال الأصمعي: من محل ومحرم، يريد من له حرمة ومن لا حرمة له، وقال غيره، ويريد دخل في أشهر الحل ودخل في أشهر الحرم.

يقول مررن بهم أشهر الحل وأشهر الحرم.

9- الباء في قوله علون بأنماط للتعدية، ويروى: وأعلين وهما بمعنى واحد، والمعالاة قد تكون بمعنى الإعلاء.

أنماط: جمع نمط: وهو ما يبسط من صنوف الثياب. العتاق: الكرام، الواحد عتيق الكلة: الستر الرقيق، والجمع الكلل.

الوراد: جمع ورد وهو الأحمر والذي يضرب لونه إلى الحمرة.

المشاكهة: المشابهة.

يقول: وأعلين أنماطاً كراما وستراً رقيقاً، أي ألقينها على الهوادج وغشين بها، ثم وصف تلك الثياب بأنها حمر الحواشي تشبه ألوانها الدم من شدة الحمرة.

10- **السوبان:** الأرض المرتفعة: اسم علم لها. التوريك: ركوب أوراك الدواب. الدل والدلال والدالة واحد، وقد أدلت المرأة وتدللت، النعمة: طيب العيش والتنعم تكلّف النعمة.

يقول وركبت هؤلاء النسوة أوراك ركابهن في حال علوهن متن السوبان وعليهن دلال الإنسان الطيب العيش الذي يتكلف ذلك.

11- **بكر وابتكر وبكر وأبكر:** سار بكرة. استحر: سار سحرا.

يقول: ابتدأن السير وسرن سحرا وهن قاصدات وادي الرس لا يخطئنه كاليد القاصدة الفم لا تخطئه.

12- **وفيهن ملهىً للطيف ومنظرٌ أنيقٌ لعين الناظر المتوسّمِ**

13- **كأن فُتاتَ العِهْن في كل منزلٍ نَزَلْن به حَبُّ الفنا لم يُحطَّمِ**

14- **فلما وَرَدْن الماء زُرقاً جِمامُهُ وضعن عصي الحاضرِ المتخيمِ**

12- **الملهى:** اللهو وموضعه. اللطيف: المتأنق، الحسن المنظر.

الأنيق: المعجب. فعيل بمعنى المفعل كالأليم بمعنى المؤلم. ومنه قوله عز وجل: عذاب أليم.

والايناق: الإعجاب: التوسم: التفرس، ومنه قوله تعالى: " إن في ذلك لآيات للمتوسمين " وأصله من الوسام والوسامة وهما الحسن، كأن التوسم تتبع محاسن الشيء، وقد يكون من الوسم فيكون تتبع علامات الشيء وسماته.

يقول: وفي هؤلاء النسوة لهو المتانق الحسن المنظر ومناظر معجبة لعين الناظر المتتبع محاسنهن وسمات جمالهن.

12- **فتات:** اسم لما انفتّ من الشيء أي تقطع وتفرق، وأصله من التفتت، وهو التقطع والتفريق، والفعل منه، فت يفت، والمبالغة التفتيت، والمطاوع الانفتات والتفتت.

الفنا: عنب الثعلب. التحطم: التكسر. الحطم. الكسر.

العهن: الصوف المصبوغ والجمع: العهون.

يقـول كـأن قطع الصـوف المصـبـوغ الذي زينت به الهـوادج في كل منزل نزلتـه هؤلاء النسوة حب عنب الثعلب في حال كونه غير محطم، لأنه إذا حطم زايله لونه، شبه الصوف الأحمر بحب عنب الثعلب قبل تحطمه.

14- **الزرقة:** شدة الصفاء، ونصل أزرق، وماء أزرق: إذا اشتد صفاؤهما والجمع زرق، ومنه زرقة العين.

الجمام: جمع جم الماء وجمته، وهو ما اجتمع منه في البئر والحوض أو غيرها. وضع العصي: كناية عن الإقامة، لأن المسافرين إذا أقاموا وضعوا عصيهم، التخيم: ابتناء الخيمة.

فلما وردت هذه الظعائن الماء، وقد اشتد صفاء ما جمع منه في الآبار والحياض عزمن على الإقامة كالحاضر المبتني الخيمة.

15- **ظهَرْن من السّوبان ثم جَزَعْنَهُ على كل قَـينْي قـشـيب ومُـفْأَمِ**

16- **فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله رجـالٌ بَنَوْهُ من قـريش وجُـرْهُم**

17- **يميناً لنعم السـيدان وجدتما على كل حـال من سـحـيل ومُـبْـرَم**

18- **تداركتما عبساً وذبيانَ بعدما تفـانوا ودقـوا بينهم عطر منشم**

15- **الجزع:** قطع الوادي: والفعل: جزع يجزع.

القين: كل صانع عند العرب فالحدادقين والجزار قين، فالقين هنا الرحّال، وجمع القين قيون، مثل بيت بيوت، وأصل القين الإصلاح، والفعل منه: قان يقين، ثم وضع المصدر موضع اسم الفاعل وجعل كل صانع قينا لأنه مصلح، ومنه قول الشاعر:

ولي كبد مجروحة قد بدا بها صدوع الهوى لو أن قينا يقينها

أي لو أن مصلحاً يصلحها، ويروى على كل حيري، منسوب إلى الحيرة، وهي عاصمة المناذرة. القشيب: الجديد. المفأم: الموسع.

يقول: علون من وادي السوبان ثم قطعنه مرة أخرى، لأنه اعترض لهن في طريقهن مرتين، وهن على كل رحل حيري أو قيني جديد موسع.

16- **يقول**: حلفت بالكعبة التي طاف حولها من بناها من القبيلتين.

جرهم: قبيلة قديمة تزوج فيها إسماعيل (عليه السلام) فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته – عليه السلام – وضعف أمر أولاده، ثم استولت عليها بعد جرهم خزاعة، إلى إن عادت إلى قريش، وقريش اسم لولد النضر بن كنانه.

17- **السحيل**: المفتول على قوة واحدة. المبرم: المفتول على قوتين أو أكثر، ثم يستعار السحيل للضعيف والمبرم للقوي.

يقول: حلفت يميناً أي حلفت حلفا، نعم السيدان وجدتما على كل حال ضعيفة وحال قوية، لقد وجدتما كاملين مستوفيين خلال الشرف في حال يحتاج فيها إلى ممارسة الشدائد وحال يفتقر فيها إلى معاناة النوائب، وأراد بالسيدين هرم بن سنان والحارث بن عوف مدحهما لإتمامها الصلح بين عبس وذبيان، وتحملهما أعباء ديات القتلى.

18- التدارك: التلافي، أي تداركتما أمرهما. التفاني: التشارك في الفناء، منشم: قيل فيه انه اسم امرأة عطارة اشترى قوم منها حفنة من العطر وتحالفوا، وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله فقتلوا عن آخرهم. فتطير العرب بعطر منشم وسار المثل به وقيل: بل كان عطارا يشترى منه ما يحنط به الموتى فسار المثل به.

يقول: تلافيتما أمر هاتين القبيلتين بعد ما أفنى القتال رجالهما، وبعدما دقهم عطر هذه المرأة، أي بعد إتيان القتال على آخرهم. كما أتى على آخر المتعطرين بعطر منشم.

19- **وقد قلتما: إن ندركْ السّلم واسعاً بمالٍ ومعروف من القول نسلم**

20- **فأصبحتما منها على خير موطنٍ بعيدَيْن فيها من عُقوقٍ ومأثم**

21- **عظيمين في عليا معدٍّ هُديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يَعْظُم**

22- **تُعَفّى الكُلومُ بالمئين فأصبحت ينجّمها من ليس فيها بمجرم**

19- **السلم**: الصلح، يذكر ويؤنث.

يقول: وقد قلتما: إن أدركنا الصلح واسعا أي إذا اتفق لنا إتمام الصلح بين القبيلتين ببذل المال وإسداء المعروف من الخير سلمنا من تفاني العشائر.

20- **العقوق**: العصيان. ومنه قوله عليه السلام: " ولا يدخل الجنة عاق لأبويه ". المأثم: يقال أثم الرجل، يأثم، إذا أقدم على إثم، وأثمه الله بإثمه إثاما وإثما إذا جازاه بإثمه.

يقول: فأصبحتما على خير موطن من الصلح بعيدين في إتمامه من عقوق الأقارب، والإثم بقطيعة الرحم، وتلخيص المعنى: إنكما طلبتما الصلح من العشائر ببذل الأعلاق وظفرتما به وبعدتما عن قطيعة الرحم. والضمير في منها يعود إلى السلم، يذكر ويؤنث.

21- **العليا**: تأنيث الأعلى، وجمعها العليات والعلى، مثل الكبرى في تأنيث الأكبر والكبريات والكبر في جمعها، وكذلك قياس الباب، وقوله: هديتما، دعاء لهما.الاستباحة: وجود الشيء مباحاً، وجعل الشيء مباحا، والاستباحة: الاستئصال ويروى يعظم من الاعظام . بمعنى التعظيم ونصب عظيمين على الحال.

يقول: ظفرتما بالصلح في حال عظمتما في الرتبة العليا من شرف معد وحسبها، ثم دعا لهما فقال هديتما إلى طريق الإصلاح والنجاح والفلاح، ثم قال: ومن وجد كنزا من المجد مباحا واستأصله عظم أمره أو عظم بين الكرام .

22- **الكلوم والكلام**: جمع كلم وهو الجرح. وقد يكون مصدرا كالجرح.

التعفية: التمحية، من قولهم هذا الشيء يعفو إذا انمحى ودرس وعفاه غيره ويعفيه وعفاه أيضا عفوا. ينجمها أي يعطيها نجوماً على دفعات.

يقول: تمحى وتزال الجراح بالمئين من الإبل فأصبحت الإبل يعطيها نجوما من هو بريء الساحة، بعيد عن الجرم في هذه الحروب، يريد إنهما بمعزل عن إراقة الدماء وقد ضمنا إعطاء الديات ووفيا بها وأخرجاها نجوما، وكذلك تعطى الديات.

23- **ينُجَمّـها قـومَ لقـوم غـرامـةً ولم يُهـريقـوا بينهم مِلْء مِـحْـجَمِ**

24- **فأصبح يجري فيهم من تلادكم مـغـانمُ شـتى من إفـالٍ مُـزَنَّـمِ**

25- **ألا أبْلِغ الأحـلافَ عني رسـالةً وذُبيـانَ هل أقـسـمـتم كل مُـقْـسَـمِ**

26- **فلا تكتُـمُنّ اللهَ ما في نفوسِكمْ ليَـخـفى ومـهـمـا يُكتَمِ اللهُ يَعلَـمِ**

23- أراق الماء والدم يريقه، وهرقه يهريقه، وأهراقه يهريقه لغات، والأصل اللغة الأولى، والهاء في الثانية بدل من الهمزة في الأولى، وجمع في الثالثة بين البدل والمبدل توهما أن همزة أفعل لم تلحقه بعد.